



مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre



ذات الوشاح الاحمر

عن قصة "ليلي الحمراء"

بقلم: ساما عويضة

ذات الوشاح الاحمر

عن قصة "ليلى الحمراء"

تأليف: ساما عويضة

رسومات: خالد جرادة

تصميم: عماد ابوبكر

الطبعة الثالثة 2021

جميع الحقوق محفوظة © مركز الدراسات النسوية
آب 2014



ملاك طفلة صغيرة عمرها ست سنوات، فقدت والدها قبل أن تولد حيث كانت أمها ما زالت تحملها في بطنها، وتعيش اليوم في قرية فلسطينية جميلة قرب مدينة نابلس. والدتها تفلح الأرض وتبيع بعض محصولها حتى تضمن لها ولطفلتها لقمة العيش، فهما تعيشان لوحدهما وتعملان بجد لكسب قوتهما دون أي مساعدة من أحد.

اعتادت «ملاك» أن ترافق والدتها إلى الحقل وتلعب فيه بينما تقوم أمها بالأعمال الزراعية اليومية...وعندما تذهب والدة ملك إلى السوق لبيع المحصول، فإنها تمكث عند خالتها «سوسن» طالبة الجامعة، وقد كانت تحبها كثيرا، فتراها تلعبها وتقرأ لها القصص وتلعب معها حتى تعود أمها من السوق.



لم تشعر ملاك كثيرا بمرارة اليتيم والفقر لأنها وجدت لدى أمها وخالتها الحب والرعاية الكافيان لتعيش طفولة طبيعية، ومضت الأيام على تلك الحال الى أن حصل تغيير مفاجئ. لقد خرجت «سوسن» من الدار في يوم من الأيام، ولم تعد... طال غيابها على غير عاداتها فلم تحتمله ملاك ... تألمت كثيرا لغيابها وراحت تسأل عنها حتى أخبروها بأن سوسن معتقلة في سجون الاحتلال الإسرائيلي، لأنها رفضت أن تكون بلادها محتلة، فخرجت تناضل مع أبناء وبنات شعبها لطرد الاحتلال.

مضت الأيام والشهور والسنين وسوسن ما زالت في السجن، فيما كانت ملاك تكبر وتنتظر حتى بلغت عامها التاسع .

خلال تلك السنوات، اعتادت ملاك أن تلبس وشاحا أحمر كتب عليه بالتطريز الفلسطيني «فلسطين وطني»، كانت سوسن قد خاطته في السجن وأرسلته لها مع جدتها التي كانت تزورها بين الفينة والأخرى.

ولأن ملاك كانت تحب سوسن كثيرا، فقد لبست الوشاح صيفا وشتاء ولم ترض أن تنزعه أبدا إلا حين تقوم أمها بغسله، وقد كانت تنتظر بفارغ الصبر أن يغسل الوشاح ويجف لترتيده من جديد حتى صارت تعرف بذات الوشاح الأحمر.

وفي يوم من الأيام بينما كانت ملاك تلعب قرب المنزل، نادتها أمها وطلبت منها أن تأخذ بعض الخضروات إلى قريبتها العجوز التي كانت تسكن في الجهة المقابلة من القرية، والتي كانت تعاني من أوضاع مادية صعبة... ولم تنس أم ملاك أن تذكر ابنتها بالوصايا كما في كل مرة قبل أن تترك البيت:

لا تتأخري بعد غروب الشمس

لا تمشي بالطرق الالتفافية التي تؤدي إلى المستوطنات الإسرائيلية

إياك أن تتحدثي مع الغرباء



حملت ملاك الخضروات، ومشت في طريقها لتوصلها الى بيت المرأة العجوز، وبينما كانت في الطريق، شاهدت بعض الأطفال يتسولون. جاءها أحدهم ورجاها أن تعطيه بعض النقود، ولما اعتذرت، بكى الولد وأخبرها كم كان جائعا، فحزنت ملاك لحالته وأعطته بعضا من الخضروات التي كانت تحملها...

وبعد لحظات لحق بها طفل ثان فأعطته من الخضروات جزءا يسيرا، ثم ثالث ورابع، إلى أن فرغت سلة الخضار...

نظرت ملاك إلى السلة فوجدتها فارغة، فحزنت ولم تعرف ماذا عليها أن تفعل، هل تعود إلى أمها وتخبرها بأنها لم تصل إلى بيت قريبتها؟ أم تصل إلى بيت قريبتها وتخبرها بما حصل معها؟...

في البداية، لم تستطع «ملاك» أن تقرر ماذا تفعل، فقد كانت خائفة من والدتها، وفي ذات الوقت محرجة من قريبتها، وما هي إلا لحظات حتى أجهشت بالبكاء...

في تلك اللحظة، مرّت بعض صديقات ملك، ورأيتها وهي تبكي، وعندما سألتها عن السبب وأجابته، ضحكت سلمى، وقالت : «لقد ضحكوا عليك»

ولكن «بيسان» الصديقة الوفية، لم يعجبها ما قالته سلمى، وطلبت من سلمى بأن تفكر معهن في إيجاد حل للمشكلة بدل الضحك وإبداء الملاحظات غير اللائقة...





فكرت الثلاث صديقات معا، وفجأة صاحت بيسان:
«عندي فكرة»...لماذا لا نذهب الى حقلكم ونجمع سلة من الخضروات نحملها الى
المرأة العجوز قبل غروب الشمس ؟ ..
ملاك: ولكن هذا قد يتطلب وقتا طويلا
بيسان: ولكن لو تساعدنا في ذلك نحن الثلاثة فقد نجعلها بسرعة
وبالفعل توجهت كل من ملاك وبيسان وسلمى الى حقل عائلة ملاك، وعملن معا
وبسرعة فائقة حتى جمعن الخضروات وملئن السلة، وركضن معا باتجاه بيت
العجوز.
وصلت الخضروات الى بيت العجوز، وعادت ملاك قبل غروب الشمس الى بيتها،
وحكت لأمها الحكاية...
سمعت أم ملاك القصة باهتمام، وشكرت ملاك على حسن تصرفها وشعورها مع
الغير، ومن ثم طلبت منها أن تذهب للنوم قبل أن يتأخر الوقت.



ولكن مادك لم تستطع أن تنام، فقد كانت تفكر بهؤلاء الأطفال الجياع... هل يذهبون للمدرسة كباقي الأطفال؟!... هل لديهم الوقت للعب كما تفعل هي وصديقاتها؟!... هل لديهم بيتا ينامون فيه؟!... هل وهل وهل... أسئلة كثيرة راودتها فأبعدت النوم عن جفونها حتى كان الصباح فاستيقظت وهي ما زالت متعبة.

تناولت فطورها وذهبت إلى المدرسة، وما أن شاهدت بيسان وسلمى حتى حدثتهما بما فكرت، فانشغلت الثلاثة بالموضوع وتحاورن، ولكن لم يتوصلن لأي حل...

وما أن دخلن غرفة الصف، حتى لاحظت المعلمة عدم تفاعلهن مع الدرس، فسألتهن عن السبب، وهنا وقفت «ذات الوشاح الأحمر» وقالت للمعلمة:

«هناك مشكلة أرى أن نناقشها معا»

المعلمة: هل نستطيع تأجيلها حتى وقت الراحة

ذات الوشاح الأحمر: ولكنها هامة جدا

المعلمة: حسنا يا ملاك، حدثينا عن المشكلة

بدأت ذات الوشاح تشرح القصة، تساندها كلا من بيسان وسلمى، وبدأت ثلاثتهن بطرح الأسئلة:

ما العمل؟

كيف نضمن لهؤلاء الأطفال فرصا أفضل؟

هل يجوز أن يكون بيننا أطفال جياع؟

هل يجوز أن يكون هناك أطفال بلا مدرسة؟





وبعد نقاش، قررت المجموعة بأن مسؤولية الأطفال هي مسؤولية الجميع،
فلسطين وطن للجميع... وطلب من المعلمة أن يقابل مدير التربية والتعليم
ليطلب منه التدخل في إرجاع الأطفال للمدرسة.

وبالفعل رتبت المدرسة موعدا للطالبات مع مدير التربية والتعليم في
المنطقة، فاستمع إليهن بكل جدية، ووعدهن بأن يتدخل من أجل إرجاع
الأطفال للمدرسة، فالتعليم إلزامي لكل الأطفال، وبأن يتصل بالشؤون
الاجتماعية لبحث أوضاع أسر الأطفال ومساعدة الآباء والأمهات على إيجاد
فرص عمل حتى يتمكن أطفالهم من العيش كبقية الأطفال..

فرحت الصديقات بهذا الحل، واحتفلن معا في حفل أم ملاك، حيث قدمت
الحلوى للجميع احتفالا بهذا الانجاز الرائع، وعاد الأطفال للمدرسة، يلتقون
كل صباح بملاك وصديقاتها ويتبادلون تحية الصباح بكل محبة.



مركز الدراسات النسوية Women's Studies Centre

المكتب الرئيسي Main Office

القدس، ضاحية البريد
عمارة الحرباوي، الطابق الأول
Jerusalem, Dahiyat Al-Bareed,
Al-Hirbawi Building, 1st floor

✉ director@wsc-pal.org

☎ +972 2 234 8848

مكتب رام الله Ramallah Office

عمارة البنك العربي، فرع البلد
رام الله التحتا، الطابق الثالث
Ramallah Al-Tahta,
Arab Bank Building, 3rd floor

✉ accountant@wsc-pal.org

☎ +970 2 295 1351

مكتب نابلس Nablus Office

نابلس، شارع البساتين
مجمع البساتين التجاري، ط 6
Nablus, Al-Basateen Street
Al-Basateen Building, 6th floor

✉ north@wsc-pal.org

☎ +970 9 2375545

مكتب الخليل Hebron Office

مجمع الرشاد التجاري، الطابق الخامس
Al- Rashad Ttrade Centre, 5th floor

✉ south@wsc-pal.org

☎ +970 2 229 4007

🌐 wsc-pal.org



WscPal



مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

جميع الحقوق محفوظة © مركز الدراسات النسوية